

كيف السبيل (*)

قلنا ان الطريقة المثلى لا بطلان منكرات الموالد (وغيرها) اما هي
 طريقة الوعظ والتعليم وقلنا ان ذلك على ثلاثة ضروب . الخطابة . وقراءة
 علم الاخلاق والآداب . وسلك طريق التربية عملاً وتحققاً وهو المعبر
 عنه بالتصوف . ولا شك ان هذه الثلاثة لو أعطيت حقها من العناية
 لبهضت الأمة نهضة الاسود فاستردت مفقوداً ، وحفظت موجوداً ، وبمسماها
 الله مقاماً محموداً ، هذه الثلاثة هي الاركان التي قام عليها بناء الاسلام
 وحفظ مجده بمراعاتها الى أجل مسمى وما انثلمت هذه الاركان في مكان
 الا انثلم شرف الاسلام وما تفوض صرح عزه في قطر الا بعد ان تفوضت
 هذه الاركان الثلاثة يشهد بهذا تاريخ هذه الامة لمن نظره بعين التأمل
 والاعتبار . ولا نطلق القلم العنان للجري في هذا المشوار كما يشاء فقد وعدنا
 ان نمخص القول فيما يتعلق بمنكرات الموالد ووفاء بالوعد نقول . .

« الركن الاول الخطابة »

يمكن للجنة العلماء التي تجتمع للمذاكرة في ابطال المنكرات ان تكلف
 أحد أعضائها الفصحاء بإنشاء خطب تزجر عن هذه المنكرات زجراً مفصلاً
 لا يفادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها وتبين للناس حقيقة التوحيد وان
 الاولياء أحياء وأمواتاً « لا يملكون لا تقسمهم ضرراً ولا تقملاً ولا يملكون
 موتاً ولا حياة ولا نشوراً » بل توضح لهم ان القرآن صرح بان النبي

(*) نشرت في فائحة العدد السابع الذي صدر في ٥ ذي الحجة سنة ١٣١٥ هـ

(بَلَّهَ الْوَلِيُّ) بشر مثلنا وانما يتميز على سائر الناس بما منحه الله به من الوحي الذي يعمل به على الوجه الاكمل ويطمه الناس وانه ليس عليه الا البلاغ والتعظيم ولا يقدر على هداية أحد من نفسه « ليس عليك هدام » « انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء » واذا كانت الهداية التي جاء لاجلها لا يقدر على ايصالها للناس وانما عليه بيان طريقها فقط فهو لا يقدر على ايصال المنافع الدنيوية اليهم بالطريق الاولي « انتم اعلم بامور دنياكم » الا ما يكون مما يتعاون به الناس بعضهم مع بعض وتنبه على ان المعجزات والكرامات ليست من الاسباب التي تهاط بها مصالح الماش وتبنى عليها الاعمال الكونية بل هي من الامور النادرة التي لا يبنى عليها حكم وليست مما يحصل بقدره من تصدر على يديه واراادته كالأفعال الاختيارية التي يتمكن من فعلها متى شاء بل لا يجريها الله تعالى على أيدي اصفيائه الا لحكمة بالغة كاقامة الحججة على صدق الانبياء في دعواهم النبوة . وتشرح لهم ان الله تعالى تفضل على عباده فجعل لكل شيء يحتاجه الانسان في حياته اسباباً تؤدي اليه وهدى الناس الى اتباع هذه الاسباب فجعل لهم السمع والابصار والافتدة لعلهم يشكروا به واستعمالها فيما خلقت له على الوجه الذي تجتنب فيه المضار وتجلب المنافع واذا هم شكروه باستعمالها زادم نعماً بهدائيتهم الى ما لم يكونوا يعلمونه من اسباب السعادة بما علموه وعملوا به منها « من علم بما عمل ورثه الله علم ما لم يعلم » واذا هم كفروا بالنعمة باهمال اسباب السعادة التي انعم عليهم بها تكسلاً أو اعتماداً على الخوارق وابطال سنة الله تعالى في الكون فان الله يعذبهم بالحرمان من السعادة كما هو

منصوص في الكتاب السماوي ومشاهد في كتاب الكون الانساني
 « واذا تأذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد »
 وكفى بكتاب الله تعالى حجة وبمشاهدة سنته في خلقه عبرة « ولكن أكثر
 الناس لا يعقلون »

يمثل هذه المواضيع تنشأ الخطب ويوحى الى الخطباء ان يخطبوا بها
 لا بمدح الايام والشهور وذكور المواسم التي يعرفها الجمهور بل والناس أجمعون .
 فاذا أنشأت اللجنة خطباً منبهة على الحق منذرة بخطر الانحراف عنه في
 الدنيا وفي الآخرة وعمدت بها الى خطباء القطر في جميع البلاد فلا شك
 ان الخطباء تلبى طلبها وتمثل أمرها ويكون لذلك أثر ظاهر « وذكر
 فان الذكرى تنفع المؤمنين »

ثم ان الخطابة لا تنحصر بمنابر المساجد فينبغي للعلماء الاتقياء الذين
 يفتشون مجامع الناس في الموالد ان يخطبوا فيهم في كل مجتمع ويمخروهم
 من اجتراح السيئات واقتراف المنكرات ويبينوا لهم ما نزل اليهم بعبارة
 واضحة يسهل عليهم فهمها واذا كانت عامية أو قريبة منها يكون حسناً .
 أما وسر الحق لو اتهم أهل العلم بهذا التهم مع العامة لا رأوا منهم الا
 اقبالاً وقبولاً فانهم قوم لا يمارون بالنذر ولا يستنكفون عن الخضوع
 للحق لاسيما اذا جاء بعنوان الدين على لسان العلماء والصالحين . ان الذي
 يستمسك باباطل اذا توهمه دينا كيف يكون حاله اذا سطع نور الحق في
 قلبه بالارشاد والتليم الصحيح لا جرم ان استمسك به يكون عظيماً .
 انظر تاريخ الشعب المصري وتأمل حاله اليوم . تراه في جميع اطوار
 وأدواره خاضعاً لرؤسائه لا يفتات عليهم ولا يستبد دونهم بشيء . فجميع

ما طرأ على هذا الشعب وجميع ما هو فيه الآن انما ابتدؤه ومصدره الرؤساء .
سواء كان ذلك في الامور الدينية أو الشؤون الدنيوية . ربما اضر هذا الخلق
(الخضوع والانتقاد) بالمتخلفين به في بعض الاطوار . لكنه يكون في
طور الاصلاح والارشاد أكثر للخير اسراعاً وأشد في مضارره ايجافاً وايضاعاً .
دخل كاتب هذه الكلمات احدي الخيام في المولد فرأى شيخاً من
البهليل المعتقدين وقد التفت عليه النساء واحدق بهن الرجال والبغيد من
هؤلاء وهؤلاء . يجتهد في ان تصل اطراف بنانه اليه فتلمسه وعند ذلك
يرى نفسه سعيداً وقد شبرق القوم من التجاذب ثيابه ، يرجون بركة
ذلك وثوابه ، فسألت من في حاشية المجتمع عن الشيخ فتميل لي هو الشيخ
عبد الغني أبو النعيط وهو من الاولياء الذين يفيضون البركات ، ويكشفون
الكربات ، فانشأت أئين لهم معنى الولي وانه انما يمتاز عن الدهماء بالعلم
والعرفان ، وتقوى الله تعالى في السر والاعلان ، الخ . ثم بينت لهم غلوهم
في الاولياء وغرورهم وانخداعهم بالدخان ، أمزج الكلام في ذلك بآيات
قرآنية ، وأحاديث نبوية ، ومشورات نما يورث الصالحين ، فاقبل القوم
علي بعد انكار قليل وتركوا الولي والنساء ثم اجلسوني وأحاطوا بي وطلبوا
يسألون واجيب . وألقيت عليهم في خلال ذلك ما يجب اعتقاده في الله
تعالى واطلت بعض الاطالة في بيان الوجدانية ثم افهمتهم معنى سلوك
الطريق وان جماهير المنتسبين للصوفية اليوم منحرفون عما كان عليه اسلافهم
من الحق والاعتصام بالكتاب والسنة وأدخلوا في الطريق بدعاً وعادات
لم يكن يعرفها الاولون . فسلموا بجميع ما قلته لهم تسليماً ورجعوا الي ان
أسلكهم الطريق على وفق الكتاب والسنة ، كما حكيت لهم عن سلف

الامة فاعتذرت لهم وفارقتهم وهم آسفون وما كادوا يسمحون لي بمغادرتهم حتى
أظننا الليل وشيموني باحتفال حافل، وتقبيل أنامل،

هؤلاء هم المصريون ان شئت قل في سوادهم الاعظم انه من شر الشعوب
حالة في الدنيا والدين وان شئت قلت انه خير الشعوب وأفضلها لان خير
ما يمتاز به الانسان هو قوة قابليته للتربية والتعليم . وللشعب المصري من
ذلك السهم الاوفر والقدح المملى وانما قصر بهم الاساتذة والمطمون

فياهداة الامة وياوراثة الرسل ادركوا هذا الشعب بالارشاد والتعليم
الصحيح الذي يهديهم الى مصالحهم الدينية والدنيوية . ادركوا قومكم
من قبل ان يخرج أمرهم من أيديكم فان آراءه وتعاليم أخرى تدب الى
نفوسهم من حيث لا يشعرون . ان الخرافات التي يترأى للبعض انها
مطيهم قوة وصلابة في الدين ، حيث قد أخذت بعنوان الدين ، هي
التي يخشى ان تكون العاملة على هدم الدين وتلاشيها اذا تنهوا لفسادها
وحالة المصر تقضي ان سيتنبهون

ان الحق لا يأتي من طريق الباطل وان الهدى لا يحتاج في حفظه الى
التمثال . فادركوا الامة قبل ان تفقدوها فاتم عنها مسؤولون « ولتكن
منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك
هم المفلحون »

« الركن الثاني قراءة علم الاخلاق والآداب الدينية »

هذا العلم هو الذي يعرف الانسان حقيقة الدين ومنه تستمد الخطابة
والوعظ . فان من درس هذا العلم ومارس أحكامه وتوسع فيها بعطيه

ذلك قوة على الوعظ والارشاد واذا حاول الوعظ وزاوله وتابر عليه حيناً من الدهر انطبعت في نفسه ملكة صحيحة وصار خطيباً حقيقياً (في هذا الموضوع) فخرجوا من ساداتنا علماء الازهر الشريف ان يخطوا هذا الفن حقه من الاعتناء ليخرج الطلاب من هذا الجامع متفهمين في الدين عارفين بحقيقته عاملين على احيائه في بلادهم وأوطانهم « وليندروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون »

الا إن قراءة أحياء العلوم خير من قراءة الكتب التي تميمها كعاشية الصبان ونحوها من الكتب المملوءة بالآراء التي هي امشاج واخلاق من فنون شتى بل ليست بشيء من الفنون . وان البحث عما يطبع ملكات الفضائل في النفس ، أفضل من التفرقة بين اسم الجنس وعلم الجنس ، وان معرفة أمراض الروح وعللها وكيفية معالجتها والادوية التي تبيد اليها صحتها هي أخرى بالعبارة واجدر بالتوسع والتطوير من التوسع في معرفة علل الكلام ، والتطوير بالقليل والقال ، لاسيما على الوجه المعروف الذي يفسد الازهان ، ولا يقوم اللسان ، بل ان إشغال الوقت في عرفان طريق التخلي عن الحسد والعجب والكبر والترفع عن الكذب والحياة والوقاحة وسائر الرذائل التي تفسد أعمال الانسان ، وتهبط بذويها الى أسفل درجات النذل والهوان ، هو أولى من اشغاله السنين الطوال بمعرفة دقائق أحكام المدبر والمكاتب وأمهات الاولاد ، ونوادير الفروع في الجنائيات ، والحدود والمعقوبات وما أشبه هاتا من المسائل الفقهية التي أهملها أهلها فصارت آثارا تاريخية . فبالك بالابحاث المقيمة لذاتها التي يهبها الانسان عمره النفيس جزافاً بلا عوض كالبحث في الماهيات هل هي مجعولة أو غير مجعولة . وعن الجمل

البيسط والمركب ، والهيولي والصورة ، والوجود هل عين الموجود أو غيره ، والجزء الذي لا يتجزأ ، وعن مناقحة الجن وصحة الاقتداء بهم ونجاستهم اذا تشكلوا بصورة حيوان نجس أم لا وعن الحيوان المتولد بين نوعين مختلفين وغير ذلك المستنبطات التي وصلوا بها الى حد فرض المستحيلات العقلية والادوية (كما صرح بعضهم) والتي بها عاب الامام حجة الاسلام فقهاء عصره ، وبين انهم اهملوا الفقه في الدين (التهذيب) واشتغلوا عنه باستنباط مسائل نمضي الاعمار ولا يحتاج الى شيء منها . لا اطيل في القول فان كل من لاحظ ان العلم انما يراد للعمل وان العمل ينتج السعادة يعلم علم اليقين ان علم تهذيب الاخلاق هو أحق بالناية من سائر العلوم وأولى بالتقديم على ماسوى المقائد بل قال بعض الائمة (وأظنه امام الحرمين) ان الاخذ بتهذيب الاخلاق علما وعملا هو أول ما ينبغي ان تتحلى به نفس الانسان وقد بينا في الفندازابع انه سعادة الدنيا والآخرة في التهذيب وأيدنا ذلك بالآيات العقلية والنقلية وقد صرح الفقهاء بان هذا العلم من الفروض العينية التي يجب على كل مكلف من ذكر وأثني معرفتها فكيف لا يكون أحري بالناية من فنون اللغة ومعاملات الفقه الواجبة على سبيل الكفاية

لم ينقل عن هذا مجلس ادارة الازهر فقد حتم (أيده الله تعالى) في قانون التدريس اقراء هذا الفن الجليل ومن الأسف ان ترى الجماهير تخير ملتفتة اليه وعسى ان يروا في الامتحان ما يحطهم عليه ، ولتسك عنان القلم فقد جمع بنا حتى خرجنا عن الشرط الملتزم

« الركن الثالث التصوف - أو سلوك الطريق »

ليس من غرضنا الآن البحث في اشتقاق لفظ التصوف أو بيان تاريخه ولا شرح حدوده ورسومه وإنما نقول ان التصوف في الاسلام هو عبارة عن التخلق بالاخلاق الفاضلة وما تستتبعه من اعمال البر والتقوى وذلك هو الاسلام الحقيقي الذي كان عليه سلف الامة الصالح ولما حدثت الفتن في المسلمين وطلق الناس ينحرفون عن الدين تميز المتسكون بما كان عليه السلف الصالح باخلاق واعمال صاروا بها فرقة مستقلة ثم ما زجت كتبهم تعاليم غريبة وحدثت لهم اصطلاحات خاصة حتى عدم بعض مؤرخي الافرنج فرقة من الفرق التي انفردت من الاسلام ثم طرأت عليهم احوال، وصدمتهم من المخالفين احوال، فرقت شملهم وثرثت عقد انتظامهم حتى صار الصوفي كالمنقاه ان كان موجوداً فتحت حجاب الخفاء «خلف من بعدم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات» وجعلوا طريق القوم شارارات و اشارات . وهم الذين يعرفهم القارىء بانهم مصدر تلك المنكرات . ومعهدها تيك الموقنات (الا من حفظه الله تعالى) والذي ينفسح لنا مجال القول فيه الآن مما يتعلق باصلاحهم . هو استلفات انظار شيخ الشيوخ صاحب السماحة السيد محمد توفيق البكري الى منع الجهلة والدجالين من التصدي لاسلاك الطريق واناطة ذلك برجال من اهل العلم والتقوى يعرفون كيف يستأصلون البدع ويزيلون المنكرات ولقد ذاك رنا سماحته في هذا الموضوع فأفادنا ان ذلك من مطامع رغبته ومرامي همة وصلى ان يكون العمل قريباً